مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاخبار

التاريخ: ١٩٧٤/٣/٢٦

** احيانا تكون السطور الاخيرة هى اعظم ما فى حياة الانسان .. ولكنها لا تكون كل شىء فى حياته .. ذلك ان حياة بعض الناس اعظم من ان تختصها سطور قلائل .. ولقد كان ابراهيم الرفاعى احد هؤلاء الناس .. فى حياته اكثر من بطولة .. خلال معارك بورسعيد عام ١٩٥٦ .. خلال معارك ٦٧ وحرب الاستنزاف .. واخيرا خلال معارك اكتوبر .. كل بطولة تصلح ان تكون حياة باكملها .. ولكنه جمعها كلها .. فى حياة واحدة .. تبرأ منه لها اروع خاتمة **

السطور الاخيرة فى حياة رجل من اعظم المقاتلين

كيف توقف الهجوم جنوب الاسماعيلية

قائد الصاعقة قام بأعمال خارقة

فى بور سعيد عام ٥٦

وعلى القناة فى حرب الاستنزاف

.. اليوم هو الجمعة ١٩ اكتوبر ، دبابات العدو تحاول التقدم الى مدينة الاسماعيلية . ها هو العقيد ابراهيم الرفاعى يمضى على راس رجاله مقاتلى الصاعقة ليصد هجوم العدو جنوب الاسماعيلية ، فى الجو غموض وخطر ، وغيوم تخفى العديد من الاحتمالات ، وبرغم كل الظروف الوعرة مضى ليقتحم الخطر ويتحداه كعادته دائما . وكعادته ايضا اندفع فى مقدمة الرجال

تقدم منه المقاتل على ، رجاه الا يتقدم كثيرا ، ان يحل مكانه ، ولاول مرة ـ خلال العمليات القتالية العديدة التى اشتركا فيها معا ـ يتعامل معه العقيد ابراهيم بصيغة الامر .

ـ الزم موقعك انت والرجال .. يا على .. هذا امر ..

وكانت الشظايا تصطدم بحواف الصخور الحادة ، تغوص فى الرمال ، الفراغ مزروع بالخطر ..

كانت السطور الاخيرة من حياة واحد من اعظم مقاتلى مصر على مختلف عصور تاريخها ، تدنو من نهايتها ..

⊙ ❖ ⊙

عقب احداث يونيو ١٩٦٧ ، بدأ جرح غائر فى نفس ابراهيم ، آلمه ما حدث ، وبرغم ما حدث كان ايمانه بالبلد ، وبالمقاتل المصرى يتوهج ، خلال احداث الحرب اشتبك مع العدو هند منطقة رمانة ، واستطاع تعطيل قول مدرع للعدو ، ومن خلال خبرته بالعدو آمن انه ليس بالعدو الذى لا يقهر ، وبدأت فكرة تكوين مجموعة تضم خلاصة مقاتلى مصر تملأ عليه تفكيره ، مجموعة تلاحق العدو فى كل مكان من سيناء ، توجه اليه أوجع الضربات ، وهكذا ظهرت الى الوجود مجموعة الرفاعى القتالية .. كانت كرد فعل ايجابى على الهزيمة .

وفى كل عملية قام بها حرص على ان يترك اثرا موجعا فى العدو يثبت له جوهر المقاتل المصرى وجسارته ، كانت العمليات التى قام بها فى اعقاب ١٩٦٧ تمثل بداية الرد المصرى على العدوان تعيد الثقة الى نفوس الرجال ، ابرزها عملية تفجير مئات الاطنان من الذخيرة التى تركتها الوحدات المصرية عقب الانسحاب ، اندفع ابراهيم الى سيناء فى هذه الايام الاولى التالية للنكسة ، واندلعت السنة اللهب والانفجارات المخيفة الى السماء ، ومنذ هذه اللحظة بدأت هجمات ابراهيم ورجاله ، بدأ يعبر الى سيناء من بور فؤاد شمالا حتى راس محمد فى اقصى الجنوب من سيناء ، كل قائد تشكيل مصرى مرابط على امتداد الجبهة يقول (كان ابراهيم هنا وعبر من عندى) كانت هذه الهجمات حلقات فى حياته المتسقة والتى يمكن القول انها كانت قتالا مستمرا لم يهدأ ..

⊙ ❖ ⊙

٢٧ يونيو ١٩٣١

يجىء ابراهيم الى الدنيا ، عائلة معظم افرادها عسكريون ، الجدكان ضابطا من رجال الجيش المصرى الوطنيين ، انه الاميرالاك عبد الوهاب لبيب الذى انتهت خدمته عام ١٩١٤ ان صورته المعلقة فى البيت ، سترته العسكرية المثقلة بالاوسمة تشد انتباه الصغير ، تثير خياله ، لابد انها حظيت بجانب كبير من تأملاته الاولى . أيضا كان خاله ضابطين كبيرين ، أما الوالد فخدم فى وزارة الداخلية كمعاون ادارة ، وفى سنة ١٩٤٧ ، ٤٨ .. يمضى الفتى الى محطة السكة الحديد فى منيا القمح ، حيث يعمل والده وتتشد ، يرقب القطارات المحملة بالجنود الماضين الى قتال العدو بفلسطين ، يشترى الصحف كلها ليتابع اخبار الحرب ، وبالذات الاعمال الفدائية ، التى يقوم بها الشهيد احمد عبد العزيز ، والمجاهد الفلسطينى عبد القادر الحسينى ، فى حجرته يحتفظ بصورتين لهما ، ويعجل هذا بدخوله المدرسة الثانوية العسكرية ، ان العين لا تخطىء فى نواحى تميزه على اقرانه ، انه رياضى ، يمثل المدرسة فى فريق كرة القدم ، وينال بطولة المدارس الثانوية ، ثم يشترك فى فريق الكلية الحربية وينال الفريق

كاس القوات المسلحة عام ١٩٥١ .
وفيما بعد ظل احد افراد فريق الكرة فى سلاح المشاة حتى بلوغه رتبة العقيد كانت لياقته البدنية عالية ، حتى انه كان يستطيع اتمام مباراة كاملة (٩٠ دقيقة) حتى بلوغه سن الـ ٤٣ سنة ، عمره فى هذا العالم ، وكان الاول على المدرسة الثانوية العسكرية فى الرماية ، ثم الاول على الكلية الحربية ، وباستمرار تصدر قائمة الفائزين فى مباريات الرماية ، انه يهوى الصيد ايضا، ومنذ بداية حياته كان احد ملامح حياته الاساسية يبدو واضحا ، وهى هوايته فى القيام بالاعمال الصعبة ، ان يقع اختياره على اشق المهام ثم يقوم بادائها ، لهذا التحق بتشكيلات الصاعقة عند انشائها ، واصبح من جيل المعلمين الاوائل بها ، يقوم باشق الدوريات ، عندما يقرر عبور خليج السويس الذى كان لعبته طبقا لتعبير احد زملائه) يختار الليالى التى يشتد فيها الموج ويعلو ، فى مثل هذه الظروف لا يتوقع العدو اية هجمات ، ولكن فى مثل هذا الجو الصعب ، كان يأتى ابراهيم ورجاله اليهم دائما ..

الصاعقة

.. عام ١٩٥٥ ، تعقد اول فرقة للصاعقة بمصر فى ابو عجيلة ، ويأتى ترتيبه الاول على الفرقة ، ثم يعين مدوسا بها ، كانت اساليب الصاعقة القتالية تحقق بعضا من جوانب شخصيته ، القيام باشق واصعب الاعمال ، كانت الصاعقة تعنى الاعمال الفدائية ، الخارقة ، وهذا مايبحث عنه ، وفى عام ١٩٥٦ بدأ العدوان الثلاثى على البلاد ، وعندما نزلت القوات المعادية الى بور سعيد ، كان ابراهيم الرفاعى على راس المتجهين الى المدينة ، وهنا لادع المقاتل وهبى الذى رافق الشهيد فى هذه العملية يتحدث ..

((عرفت ابراهيم قبل ذهابنا الى بورسعيد معا ، كان استاذى ، درس لى فى مدرسة الصاعقة ، كانت التدريبات قاسية ، وعرة ، لكنه باستمرار كان يشجعنا ، كان مثلا فى عيوننا ، جسمه قليل ولكن لياقته البدنية عالية بشكل خرافى ، كانت لديه اخلاق فروسية ومثالية رفيعة ، لا يطلب من انسان شيئا هو لايفعله ، اذا طلب منى عملا صعبا . كان يؤديه قبلنا ، دفعنا الى الاقتداء به ومن هنا اعنى فعلا انه استاذ بمعنى الاستاذية الحقة ، كان اذا دخل مباراة او تدرب فانه لايقبل الهزيمة اطلاقا ، كان ابراهيم متواضعا جدا، ولم اشعر فى اى يوم من الايام انه اصبح عقيدا ، وعندما استشهد خيل لى انه نفس الملازم اول الذى عرفته عام ١٩٥٥ ، دائما على راس القوة ، يخطط وينفذ ، لم تكن الرتبة الكبيرة بالنسبة له تعنى الا المزيد من تحمل المسئولية فى القتال ، فى الميدان ، هذه مقدمة لابد منها قبل الدخول فى عملية بور سعيد ...))

بور سعيد

مازال المقاتل وهبى يتحدث ..

((كان الهدف من دخول الصاعقة الى بور سعيد هو حصر القوات الانجليزية بين حجماتها الخاطفة ، ووحدات الجيش المتقدمة ، ايضا اعمال الاستطلاع وتنظيم المقاومة ، وايجاد اماكن لتشوين السلاح والذخيرة كان ابراهيم اول من دخل بورسعيد، وكان هو القائد المنفذ داخلها ، كان وقتئذ له من العمر حوالى ٢٤ سنة ، بدا فى تنظيم اعمال الصاعقة كان دقيقا جدا فى عمله حتى انه لم يستعمل ورقا او قلما على الاطلاق ،

انه يتمتع بذاكرة مدهشة ، يعرف ان فلانا هنا ، وفلانا هناك، ومخازن الذخيرة والسلاح ، وقبل الجلاء بايام نفذ ابراهيم اكبر عملية عسكرية فى بور سعيد ، كان يوجد للانجليز تجمع للدبابات فى مكان فسيح بين البيوت، بعد فترة منع التجول خرج على راس مجموعات انتشرت حول مكان تمركز الدبابات ، بحيث يتم قطع جميع الشوارع المؤدية الى المعسكر ، وصل ابراهيم على راس اول مجموعة الى مسافة ٥٠ مترا من الدبابات ،اختفوا خلف براميل اسفلت ، اطلقوا ثلاثة صواريخ وانفجرت ثلاث دبابات ، ارتجت المدينة ، هرع الجنود البريطانيون من العمارات المحيطة واطلق عليهم ابراهيم والرجال نيران الرشاشات ، فى نفس الوقت تم تدمير ست دبابات اخرى ، وانسحبت قواتنا ، كان ابراهيم آخر من غادر المكان بعد ان اطمأن على ذهاب كل مقاتل الى مكانه فى المدينة ، كانت هذه العملية ذات اثر حاسم فى الاسراع بانسحاب القوات المعتدية الى منطقة الجمرك ، وبقى ابراهيم ينظم المقاومة داخل المدينة ويقودها حتى دخول وحدات جيشنا الى المدينة))

⊙ ❖ ⊙

(احد رجال المجموعة يتحدث)

اثناء عملية الهجوم على موقع لسان التمساح الحصين فى ١٩ ابريل ١٩٦٩ حدث بعد عودة الرجال ان اكتشف ابراهيم ان بعض الرجال لم يعودوا وانهم مازالوا هناك على الضفة الاخرى ، وهنا اتجه مرة اخرى الى القوارب ، عبر القناة ، صار يصيح عليهم بالاسم ، وفى هذه اللحظات كان العدو قد بدأ يقوم بالهجوم المضاد ، ولكن ابراهيم عاد بجنوده كاملين بعد ان دمر قاعدة الصواريخ الهوك التى كانت تهدد طائراتنا ..

(كلمات من طيار مكتوبة على نموذج طائرة ميج ٢١)

اخى وعزيزى المقدم ا.ح. ابراهيم الرفاعى

اهديك هذا النموذج تقديرا للاعمال البطولية التى قمت بقيادتها ، فان عملية اقتحامكم للسان بحيرة التمساح مساء ١٩-٤-١٩٦٩ ، لمن العمليات البطولية الفذة التى سيخلدها التاريخ

اخوك

(رائد طيار (....)

٢٦-٤-١٩٦٩

● اثناء الاغارة على عيون موسى بالصواريخ فى ٥ يونيو ١٩٦٩ ، نصبوا عدة صواريخ تنطلق طبقا لجهاز زمنى وبعد عودتهم رصدوا انطلاق عدد من الصواريخ وتعطل الآخر ، وبرغم خطورة الموقف فان ابراهيم يصر على العودة ليصلح اجهزة الاطلاق ،ويراه الرجال متقدما ، فيصحبونه ، وتنجح مهمتهم ، وتنطلق الصواريخ الاخرى، كما يقولون ، كان يقدم على اخطر العمليات ، وقال عنه البعض انه (محجب) ، وتناقلت اخباره وحدات القوات المسلحة ، لم يكن عبوره الى البر الثانى هو الخبر ، لكن عودته هى الخبر الذى كان يترقبه الرجال، كان لدى كل منهم احساس ان ابراهيم الرفاعى سيصاب فى احدى هذه العمليات لجسارته الرهيبة ، وبعد كل اغارة له كانت اجهزة التقاطنا اللاسلكية تلتقط استغاثات العدو ، كان افراده فى بعض المواقف يصرخون كالنساء ، وبعد عودته من احدى الغارات تقدم منه ضابط المخابرات المصرية فى المنطقة ، قال ان احسن هدية يقدمها له شريط سجل عليه استغاثات العدو اثناء الاغارة ..

⊙ ❖ ⊙

كما يتنفس الانسان ، كما يسترمى ذهنه الصور والذكريات ، كما يحن

الى فترة غالية من العمر المنقضى ، هكذا علاقة ابراهيم بالقتال ، القتال من اجل هدف ، كان يكره العدو كراهية شخصية ، كان همه ان يثبت للعالم ان المقاتل المصرى قادر وقوى، كان يؤمن بعد ٦٧ بحتمية الحرب ، حتى فى فترات وقف اطلاق النارسعى الى القيام بعمليات استطلاع ، كان (لا يهدأ) ابدا كما يقول زملاؤه ، اما انه يفكر فى عملية جديدة ، او يخطط لعملية ، او يقوم فعلا بتنفيذ عملية ، فى كل مرة كان يمضى بالسيارة من مقر المجموعة الى مقر القيادة يلتفت الى السائق (عبد المؤمن) الذى صحبه اكثر من عشرين عاما ، يقول :

((ربنا يسهل ويصدقوا لنا على المهمة)) ..

ويوم ان ضربت (طائرة الركاب الليبية) ، بدأ شديد الحزن لمن يحيطون به ، وفى اليوم التالى توجه الى القيادة يحمل تخطيطا لعملية كاملة كرد على الحادث البشع ، كانت لديه اهداف مفضلة عند العدو يحب التعامل معها ، يحرص فى اختيارها على ان توجعه تماما ، وبالتأكيد فان ذروة احاسيسه ومشاعره تلك اللحظات التى يقضيها فوق ارض سيناء ، حدث اثناء وجوده على الضفة الاخرى ان تأخر من الوقت المحدد للعودة ، بدأ واحد من الضباط يناديه باللاسلكى :

(يا ابراهيم الوقت المحدد لك انتهى ...)

ويجيب ابراهيم بأن امامه بعض الوقت لانجاز مهام معينة

وهنا يقوم ابراهيم باغلاق الجهاز انه يحب ولديه ، ولكن لابد ان ينجز ما يقوم به

⊙ ❖ ⊙

كبيرة المرضات التى اشرفت على علاجه عندما اصيب منذ عامين بقرحة فى المعدة :

((كان زملاؤه من الضباط والجنود يزورونه ، يناقشهم فيما قاموا به ، ندخل عليه فاذا به يتحدث عن العدو بقول كان المفروض ان ندخل من هنا او عندما جاء العدو من المنطقة الفلانية بدا فى قمة الضيق بسبب مرضه ، كان يرى فيه عائقا يحول بينه وبين القتال ، وقبل المدة المقررة لانتهاء العلاج فوجئنا به يغادر المستشفى))

⊙ ❖ ⊙

يتحدث احد رجاله :

((أثناء استعدادنا للابحار من نقطة معينة على خليج السويس ، فوجئنا بسيارة جيب تقترب من موقعنا ، توقفت ، نزل منها العقيد ابراهيم الرفاعى ، كان يقودها من القاهرة عبر مدق صحراوى وعر لمدة ست ساعات ، كان يصحبه احد الضباط لم يستطع البقاء بعيدا عنا ، لم يرغمه المغص على البقاء فى الفراش بينما يقوم رجاله بالعبور وقتال العدو))

⊙ ❖ ⊙

الزوجة

((لم يكن يصرح لى بتفاصيل العمليات التى يقوم بها ، لكننى بعد رفقة عمر باكملها اصبحت اشعر بالاوقات التى يعبر فيها لقتال العدو كنت اعرف منه حبه الشديد لمواجهة الخطر ، واقتحام الصعب ، كانت كلمة مستحيل لا وجود لها فى لغته ، لا تتصور مدى احراجه وخجله من مواجهة نفسه لو تصور انه عاد من عملية بدون ان ينجزها . أن يقول لقادته : لم اتمكن لان العدو قام بكذا وكذا فهذا مستحيل تماما ، لايقبله ، كنت اسهر طوال الليل انتظر رجوعه

وفى كل مرة اتوقع الخطر نفسه ، وعندما يدق الباب غالبا فى اللحظات الاخيرة من الليل ، افتح له ، يدخل وعلى وجهه تعبير خفى ، وكانه أنجب طفلا جديدا . لم يكن ابراهيم زوجى فقط ، انما كان استاذى وصديقى الذى لا يعوض ...))

الاوسمه

البيت بسيط جدا ، فى الصالة الرئيسية لوحة كبيرة علق عليها ما يقرب من مائة ميدالية حصل عليها العقيد ابراهيم فى المباريات الرياضية والعديد من الكئوس ، فى صالة الاستقبال علقت على الجدار عشرات البراءات التى تعلن حصوله على الانواط والاوسمة التالية :

١ ـ نوط الشجاعة العسكرية من الطبقة الاولى ٩ مارس ١٩٦٠

٢ ـ ميدالية الترقية الاستثنائية اعتبارا من ١ـ٦ـ١٩٦٥

٣ ـ نوط الشجاعة العسكرى من الطبقة الاولى ١ـ٢ـ١٩٦٨

٤ ـ وسام النجمة العسكرية ٥ـ١٠ـ١٩٦٨

٥ ـ وسام النجمة العسكرية ٢٣ـ١٠ـ١٩٦٩

٦ ـ وسام النجمة العسكرية ١٨ـ١٠ـ١٩٦٩

٧ ـ نوط الواجب العسكرى من الطبقة الاولى ١٧ـ٤ـ١٩٧١

٨ ـ نجمة الشرف العسكرية ١٨ـ٨ـ١٩٧١

٩ ـ نجمة سيناء ١٩٧٤

الحرب

يوم السبت ٦ اكتوبر : كلما التقى ابراهيم باحد الرجال ، يصيح .. مبروك الحرب قامت ، ادعوا لنا ، اتصل بالبيت ، طلب ارسال بدلة الغطس ، فى نفس اليوم قام بضرب آبار البترول فى بلاعيم ، ثم قام باستطلاع العدو فى راس محمد وشرم الشيخ يوم ١٠ اكتوبر ، ثم الهجوم على نفس المنطقة بالصواريخ فى ١١ اكتوبر ، ثم ضرب مناطق البترول يوم ١٤ اكتوبر واشعال النيران بها ، ثم ضرب الطور بالصواريخ يوم ١٥ ويوم ١٦ اكتوبر ، ثم ضرب مطار الطور بالصواريخ الثقيلة يوم ١٧ اكتوبر .

يوم الخميس اتصل سمير الرفاعى الشقيق بابراهيم ، واستفسر منه هل سيحضر فى الميعاد الاسبوعى الذى يجتمع فيه الابناء سامى المقاتل بالقوات المسلحة وسمير وسهير عند الوالد والوالدة ، قال انه لا يضمن الظروف .

وفى ليلة الخميس التقى بالمقاتل وهبى ، ونظرا لسرية الاعمال التى يقوم بها ابراهيم ، ولما عرف عنه من تقديسه الشديد للسرية ، فان المقاتل وهبى قال له انه يتمنى له التوفيق فى مهمته بدون ان يعلم تفاصيلها .

ظهر الجمعة ، ذهبت الزوجة مع سامح وليلى الى البيت الكبير .

كان المفروض ان يتناولوا طعام الافطار كلهم فى هذا اليوم .

وفى الجبهة ، فى جنوب الاسماعيلية الساعة الثانية عشرة بالضبط ، وقت انتصاف النهار ، انفجرت دانة دبابة تناثرت الشظايا ، واتخذت شظية طريقها الى اول المهاجمين ، بالضبط فى الظهر ، خلف القلب ، وانطفأ البريق فى لحظة ، فى اغماضة عين ، وقاتل الرجال قتالا مريرا حتى عادوا بقائدهم ، بمعلمهم ، بزاهد الحرب ، ومتصوف القتال ..

وثيقة شرف

البطل الشهيد العميد ا.ح ابراهيم الرفاعى

استشهد فى ميـــدان التضحيـة والشرف فى معارك التحرير عام ١٩٧٣ وان القائد العام للقوات المسلحة اذ يبلغكم التعزية الصادقة للســـيد رئيس الجمهـــورية والقائد الاعلى ، وعزاءه الشخصى ، ليسجل بكل فخر واعتزاز ان الشهيد كان مثلا للشجاعة والبسالة فى ميدان القتال وان اسم الشهيد الذى سبقنا بشرف الشهادة سيظل خالدا فى قائمة المجد وسـجل الشرف

⊙❖⊙

مدير ادارة شئون الضباط

حتى اللحظات الاخيرة رافقه عبـد المؤمن ، ولحظة الدفن امتلات صدور الحاضرين برهبة ، كان الشهيد مبتسم الوجه برضى ، عليه سمات العظمة ، وملامح قائد كبير ، كان هادئا ، كانه تلخيص حى لروح مصر ، روح عبرت القناة والخليج أكثر من خمسين مرة الى مختلف انحاء ســـيناء ، من شرم الشيخ الى شرق بور فـــؤاد ، تذكرت اللوحة الزيتية التى رسمهـا له المقاتل السرساوى والمعلقة فى صدر البيت ، بها ضوء خفى ، وكانه احد شـــهداء المسيحية المصريين العظام ، وكانه احد شهداء المسلمين الاوائل .

لقد احتوى مصر داخله طوال عمره ، وقاتل ، واستشهد ...

وكان محتمـــا ان تجيء تلك اللحظات التى تحتويه فيه امنـا مصر ..

وهذا طبيعى ، وهـــذا منطق الامور . فامثاله يعيشون ، يقاتلون ثم يستشهدون .

جمال الغيطانى